

اسم المادة: سورة البروج

من سلسلة: تفسير جزء عمّ

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسم المادة: سورة البروج
من سلسلة: تفسير جزء عمّ
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–.

النهاردة بإذن الله –عز وجل– نتكلم عن هذه السورة العظيمة: سورة البروج، سورة مكية نزلت في واقع اضطهاد وتعذيب المؤمنين في الفترة المكية. هذه السور –كما قلنا مرارًا وتكرارًا– لا بد الإنسان حتى يفهم هذه المعاني لازم يكون مستحضر الواقع الذي كان فيه الصحابة، لذلك دائمًا بيقولوا: فيه ركنين للمعايشة؛ معايشة القرآن، يعني احنا بنقول إيه؟ من أركان فهم القرآن: المعايشة وفهم اللغة والتدبر و...،

يعني إيه كلمة معايشة؟ يقولوا المعايشة لها ركنين:

– الركن الأول: معايشة واقع الصحابة الذي نزل فيه القرآن، يعني إنك انت تفهم كويس السورة دي نزلت في واقع عامل إزاي، يعني دراسة واقع غزوة أحد مهم جدًا لفهم الجزء الأخير من سورة آل عمران "وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ" آل عمران:١٢١، معايشة واقع غزوة بدر وما حدث بعد غزوة بدر وما قبل غزوة بدر مهم جدًا لدراسة سورة الأنفال، فكذلك معايشة الواقع المكي ودراسة الواقع المكي مهم جدًا لفهم كثير من السور المكية.

– الركن الثاني من المعايشة: أن تُعايش واقعًا مماثلًا، إنك انت تبذل وتنصر الدين، فبالتالي هيبقى عندك واقع مماثل لما سار عليه الصحابة، فتفقه ما في القرآن من معاني.

تبدأ هذه السورة العظيمة بقَسَم "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ"

طبعًا احنا كنا مشينا فترة في تفسير جزء عم، وآخر سورة شرحناها كانت سورة الانشقاق، ودي السورة اللي بعدها سورة البروج. نجد أن جزء عم له خصائص –اتكلمنا عنها في أول جزء عم–، خصائص معينة؛ مثل قِصر الآيات، تتابع، فيها قسم، أغلبه مكي.

بنقول سورة البروج نزلت في واقع اضطهاد وتعذيب المؤمنين؛ لذلك المعنى الأساسي اللي بتركز عليه السورة هو اضطهاد الكافرين وتعذيبهم للمؤمنين، غير الحديث الطويل اللي في صحيح مسلم (حديث الغلام والأخدود)، النبي –صلى الله عليه وسلم– جاب القصة من الأول، قال: "إنه كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال إني قد كبرت فابعث لي غلامًا أعلمه السحر..". فبعث الغلام، وكان الغلام في طريقه راهب، الحديث طويل جدًا.

لكن هنا نجد بالرغم إن السورة تتحدث عن هذه القصة أو غيرها من القصص –واقع الاضطهاد– نجد أن السورة ركَّزت على معنى من وسط الحديث الطويل، إيه المعنى ده؟ "وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"، "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" إذًا المعنى الأساسي اللي بتتحدث عنه السورة من القصة الطويلة اللي هي قصة غلام الأخدود –لأن قصة غلام الأخدود فيها ملامح كثيرة جدًا: فيها ثبات الراهب،

فيها تربية الراهب للغلام، فيها الساحر، وإزاي إن أهل الباطل بيحرصوا على استمرار باطلهم، فالساحر لما كبر قال إني قد كبرت فأرسل إلي غلامًا أعلمه السحر، ممكن نتناول الحديث أيضًا بالتفصيل في درس-.

المعاني الموجودة في الحديث كثيرة جدًا ومتشعّبة جدًا، لكن كأن المعنى الأساسي في هذه السورة اللي ربنا بيتكلم عنه قال: "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ"، ليه؟ لأنهم ولعوا النار للمؤمنين وألقوهم في النار، "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"، ثم قال بعد ذلك: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ"، ثم قال بعد ذلك: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ"، أي أنَّ بطش الله أقوى من بطش هؤلاء، ومهما فعل هؤلاء بالمؤمنين سيُفعل بهم ما هو أعظم؛ لأنَّ الله -عز وجل- أكبر وأعظم منهم، وبطشه أعظم من بطشهم، وقوته أعظم من قوتهم، فقال: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ".

إذًا المعنى الأساسي: ما يُلاقيه أهل الإيمان في هذا الطريق من بلاء، وأن أهل الباطل لابد أن يفتنوا ويبذلوا الجهد لفتنة أهل الإيمان، ولا بد لأهل الإيمان أن يصبروا على هذا البلاء.

فتبدأ السورة بقسم: "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ"، ثم يقول الله -عز وجل-: "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ"، يُقسم الله -عز وجل- بالسماء باتّساعها، ثم خصَّ من السماء ذات البروج، ليه مسألة ذات البروج؟

أولًا، العلماء اختلفوا كثيرًا في مسألة البروج، وما هي البروج؟ هل هي منازل الكواكب؟ وألا النجوم التي تقذف الشياطين فتحرس السماء؟ جعل الله -عز وجل- في السماء بروجًا وزيّنها للناظرين، وقال الله -عز وجل-: "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا" الفرقان ٦١:٦٣ ثم قال: "وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ".

دايمًا لازم نبحث عن علاقة القسم بجواب القسم؛ يعني زي ما ربنا قال: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ" النجم:١، ثم قال: "مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ" النجم:٢، احنا بنبحث عن علاقة القسم بجواب القسم، بعض الناس يتعجَّل ويبحث عن علاقة النجم بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، ربنا يقول إيه: "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ" اللي هو مين؟ النبي -صلى الله عليه وسلم-، العلاقة هنا مش بين النجم والنبي -صلى الله عليه وسلم-، لأ، دقة الكلام العلاقة بإيه؟ "وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ"، يبقى يقسم الله بهَوْي النجم مش بالنجم عامة، بلحظة هَوْي النجم -أي سقوط النجم- على أنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- ما ضلّ، يبقى محاولة البحث عن العلاقة بين القسم وجواب القسم، يبقى تبحث عن علاقة ما بين لحظة سقوط النجم وعدم ضلال وغواية النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأن الله -عز وجل- عصمه من ذلك.

هنا برضه بنبحث عن العلاقة بين السماء ذات البروج، إيه المعنى في ذات البروج؟ بعضهم قال: البرج ده كأنه إشارة إلى الرقابة، زي مايبقى فيه أبراج عليها رقابة تراقب، فكأن ما تفعلونه يا أهل الباطل في الأرض، أنتم مُراقبون من السماء، ليه؟ لأن أهل الباطل في السورة هنا لما جم عذبوا المؤمنين قتلوهم كلهم، ماسابوش والا واحد مؤمن، جابوا كل المؤمنين وحفروا الأخاديد في الأرض وأضرموا فيها النيران ثم ألقوا أهل الإيمان كلهم، فلم يبقَ أحد من أهل الإيمان يشهد على هذه الحادثة، محدش كان موجود يشهد، لذلك من أكثر الألفاظ التي تكررت في سورة البروج لفظ "الشهادة": "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ"، "وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"، "وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"، تكرر اللفظ أربع مرات في السورة، ليه؟ لأن الجريمة التي عملها هنا أهل الباطل لم يتركوا شاهدًا عليها، عايز يخفي كل الأدلة إن هو موت كل المؤمنين وقتلهم وحرقهم، فيقول الله -عز وجل-: إذا قتلتم أهل الأرض فسوف يشهد أهل السماء.

وقيل أيضًا من المعاني للسماء ذات البروج –والله أعلى وأعلم– "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ" قضية إن البروج دي بتحفظ السماء من الشياطين، زي ما ربنا –سبحانه وتعالى– قال: "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا" الفرقان:٦١، فقالوا: طالما ربنا قال في الآية السراج الشمس والقمر والبروج، يبقى البروج؛ النجوم.

وظيفة النجوم إيه في القرآن؟ العلماء بيقولوا وظيفة النجوم التي ذُكرت في القرآن ثلاثة؛ لذلك بعض أهل السلف قال: من أضيف إليها رابع فقد كذب، باستقراء القرآن قالوا وظائفها ثلاثة: زينة للسماء، وهداية لأهل الأرض؛ "وَعَلَامَاتٍ ۚ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ" النحل:١٦، ذُكرت في سورة النحل –سورة النِّعم– يعدد الله –عز وجل– نعمه، ويقول أنَّ من النِّعم إن بنستفيد من النجوم بأنك انت تهتدي في الطريق.

فإذًا: زينة في السماء، هداية لأهل الأرض، حراسة للسماء من الشياطين؛ تقذف الشياطين، الشيطان حين يحاول أن يسترق السمع فتأتي هذه النجوم وتحرقه، يرسل الله –عز وجل– شهاب يحرق الشيطان، "وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ" الطارق١:٣، قيل من معاني النجم الثاقب –وده أيضًا ليه علاقة بسورة البروج بعدها سورة الطارق– النجم الثاقب؛ النجم الذي يحرق الشيطان، فكأن البروج وظيفتها في السماء الزينة والهداية والحفظ، فكذلك جعل الله –عز وجل– في أهل الأرض علماء؛ زينة للأرض؛ يهدون الناس، يحفظون الوحي.

جعل الله –عز وجل– في الأرض منارات وعلامات، قدّر الله –عز وجل– رجالًا يحملون هذا الدين، هؤلاء الرجال وظيفتهم زينة للأرض، إذا خلت منهم الأرض فسدت الأرض، وإذا مات العلماء اتخذ الناس رؤوسًا جُهَّالًا فضلُّوا وأضلوا، تفسد الأرض بموت العلماء لأن الله –عز وجل– لا ينزع العلم انتزاعًا من صدور العلماء ولكن بموت العلماء، إذًا موت العلماء مصيبة في الأرض، موت العلماء وغيابهم مصيبة في الأرض.

فكذلك كما أن الله –عز وجل– من سننه –واتكلمنا قبل كده في علاقة السنن الكونية بالسنن المعنوية– أن جعل في السماء بروجًا، أيضًا قدّر في الأرض بروجًا يحفظون الدين، لذلك لما ربنا –سبحانه وتعالى– في آخر سورة الفرقان وقبل أن يقول: "وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ"؛ عباد الرحمن دول زينة الأرض، وجود عباد الرحمن في الأرض دول اللي بيحفظوا الأرض من الفساد، وجود عباد الرحمن في الأرض، اللي بيعطوا الخير للناس وبيتعاملوا بأخلاق مع الناس ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وجود عباد الرحمن في الأرض هم الفرقان بين الحق والباطل، عشان كده جت في ختام سورة الفرقان.

قبل ما ربنا يقول: "وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ"، قال إيه؟ قال: "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا" الفرقان:٦١، ثم قال: "وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ"؛ كأن معنى الآية: كما أن الله جعل في السماء بروجًا وسراجًا وقمرًا منيرًا؛ جعل في الأرض مين؟ عباد الرحمن، الذين هم في الأرض بمثابة النجوم والشمس والقمر.

"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ" إن الله –عز وجل– يختار رجال يصطفيهم، يحملون هذا الدين، يكونون ورثة الأنبياء، يعلمون الناس، ويبينون الحق، لا يخافون في الله لومة لائم، دي من وظيفة أهل العلم في الأرض؛ أنهم زينة في الأرض، يحفظون الوحي من التغيير والتبديل، يهدون الناس بهدىً من الله –عز وجل–، وبتوفيق من الله –عز وجل–.

"وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ" فكما قدّر ربنا هذا في السماء قدّر أيضًا في هذه القصة غلام الأخدود؛ وجوده يهدي الناس، وقدّر الراهب قبل ذلك إنه يكون سبب في هداية الغلام، فبالرغم إن لما تيجي تقرأ القصة في الحديث؛ القصة مليانة ظلام دامس؛ مَلِك ظالم، ومعاه ساحر، والساحر يكبر، ويأخذ الغلام، ويأخذ الغلمان يعلمهم، وكأنه ليس هناك أي بارقة أمل! يعني اللي يجي يقرأ القصة من أولها في الحديث، وكأن ليس هناك أي بارقة أمل؛ الظلام دامس، الشر منتشر، كيف يأتي الخير في هذا الوضع؟! تُفاجأ أن الخير يبدأ من وجود راهب يُعلم الغلام، في كهف

بعيد عن الناس، من هذه النقطة انتشر النور، من ثبات الراهب وثبات الغلام، انتشر النور ووصلت إلينا القصة؛ يبقى لابد من ثبات، لابد من وجود أهل العلم يثبّتون أهل الأرض ويبينون الحق، "وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ".

ثم يُقسم الله –عز وجل– "وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ" إذا لم ينزل العذاب على الظلمة الذين عذبوا المؤمنين، إذا لم ينزل عليهم العذاب في الدنيا، فإنما يؤخرهم الله ليوم تشخص فيه الأبصار، واتكلمنا المرة اللي فاتت إن كتير من الناس متعجل نزول العذاب على الظلمة في الدنيا، لما ربنا قال في سورة إبراهيم "وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ"، يعني لما تشوف واحد ظالم ومفتري وظلمه بيزيد ويزيد ويزيد فربنا يقول لك "وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ" إيه؟ "غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ" مستمرين لسه "عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ"، "إِنَّمَا" إنما إيه؟ سوف يُنزل عليهم العذاب في الدنيا؟ لا، قال إنما إيه؟ "يُؤَخِّرُهُمْ" كأن الغالب يُؤَجَّل، "إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ" إبراهيم٤٢: ٤٣.

يبقى غالب الانتقام من الظلمة يؤجل إلى يوم القيامة، "وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ" له ميعاد وضعه الله –عز وجل– مهما حاول أهل الأرض أن ينقلوه عن موعده لن يستطيعوا، واليوم الإيه؟ الموعود؛ له ميعاد ضربه الله –عز وجل–، لن يتبدل ولن يتغير، يُقسم الله بهذا الزمان.

"وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ" احنا قلنا من أسباب تكرر لفظ الشهادة في السورة إيه؟ إن أهل الباطل قتلوا كل أهل الإيمان، فتكرر لفظ الشهادة، كأن لو غاب الشهداء عن الحادثة فالشهداء كُثر؛ تشهد الملائكة، السماء، البروج، تشهد الأعضاء؛ أعضاء الكفار أنفسهم تشهد عليهم، تشهد الأرض، فلذلك قال الله –عز وجل–: "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ" بالنكرة؛ أي لكثرتهم لن يُحصَوا، "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ" كثير أوي هيشهدوا، الزمن يشهد، الأرض تشهد، الأعضاء تشهد، الملائكة تشهد، الله يشهد، الصحف تشهد، كل ده يشهدون عليهم.

"وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ" وقيل: شَاهِدٍ هو الله وَمَشْهُودٍ هم الخلق، الله –عز وجل– يشهد على أفعالهم، وقيل "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ" –من أكثر الآثار اللي رُويت– شاهد ومشهود قيل من معانيها يوم عرفة ويوم الجمعة؛ كنوع من تلمس إيه العلاقة ما بين يوم عرفة ويوم الجمعة بالسورة التي احنا فيها، السورة بتركز على معنى أساسي، –وقلنا فيه فارق بين الحديث والسورة؛ الحديث استفاض في معاني كثيرة، السورة ركزت على معنى أساسي اللي هو إيه؟ اضطهاد أهل الباطل لأهل الإيمان، ومحاولة تعذيبهم وإفنائهم، يعني مش بيحاول بس يعذبهم، ده بيحاول إيه؟ يُفنيهم، فربنا –سبحانه وتعالى– ذكر زمان فيه كثرة لأهل الإيمان؛ يوم الجمعة ويوم عرفة فيه كثرة واجتماع، وكأن الله –عز وجل– يقول لهم: مهما فعلتم سينتشر هذا الدين، ومهما قتلتم سينتشر هذا الدين، ويجتمع أهل الإيمان في يوم الجمعة ويوم عرفة.

قدّر الله –عز وجل– أزمانًا يجتمع فيها أهل الحق تكون غيظ لأهل الباطل، وما رُئِيَ الشيطان أدحر وأغيظ منه من يوم عرفة! فهذه الأزمنة تغيظ أهل الباطل، باجتماع أهل الإيمان، فيقول الله –عز وجل– "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ".

وقيل الشاهد؛ القرآن، والمشهود هو النبي –صلى الله عليه وسلم–، أي أن القرآن يشهد بصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– "أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ –أي النبي –صلى الله عليه وسلم– وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ" ويتبعه شاهد منه آية سورة هود:١٧، بعض العلماء استدل بهذه الآية على معنى "وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ".

ثم يقول الله –عز وجل–: "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" قُتل: أي لُعن أصحاب الأخدود، لاحظ هنا أن الظلمة دول لما حفروا الأخاديد، وأحرقوا أهل الإيمان، ربنا سماهم أصحاب الأخدود، ليه أصحاب الأخدود؟ الصحبة تعني –خد بالك من كلمة أصحاب– الصحبة تعني أكثر من معنى؛ منها: طول الملازمة، وكأنهم مارسوا هذا الموضوع كثيرًا، يعني مش واحد غلط غلطة، لا؛ ده واحد مجرم، ثابت في الإجرام، فارق بين واحد أخطأ خطأ وتاب منه، وواحد أصر على الإجرام، فكلمة أصحاب الأخدود يعني كأنهم مارسوا تعذيب أهل الإيمان كثيرًا جدًا، أو "أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" كأنهم هم أول من اخترعوا هذه الفكرة في تعذيب أهل الإيمان، فهو صاحبها، عارف لما واحد صاحب اختراع، معاه براءة



الاختراع، ده –والعياذ بالله– فكأن كل واحد من أهل الباطل المجرمين الرؤساء "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا" الأنعام:١٢٣، فيه مجرمين صغيرين، وفيه مجرمين كبار، المجرمين الكبار بيتفننوا في دفع الحق، فيأتي بفكرة جديدة يصرف بيها، فكل واحد يأتِ يوم القيامة يُنادَى: أنت صاحب الفكرة الفلانية اللي أضلت الناس، وده صاحب فكرة مثلًا مسلسل أضل كثير من الناس، وه صاحب فكرة جعلت كثير من الشباب يُلحد، وده صاحب فكرة جعلت كثير من الشباب يسقط في الشهوات، وده أضاف فكرة تعذيب جديدة لأهل الإيمان، ده بيبقى نكاية عليهم، ويُلعن بسبب هذه الفكرة اللي طعن بيها في الدين، ويُعذب عذا زائد في جهنم بسبب هذا الإضلال.

لأن فيه فارق بين إنسان ضال وإنسان مُضل، فارق بين إنسان يفعل المعاصي وإنسان يُضل الناس، الذي يُضل الناس عذابه أشد "ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ –ربنا قال إيه– زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ" النحل:٨٨، لأنه كان مُفسد أُضيف إليه نوع آخر من أنواع العذاب، مثل ما هنشوف معانا هنا النهاردة أيضًا.

فيقول الله –عز وجل–: "قُتِلَ" أي: لُعِن "أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ"، وبعض العلماء كان قد جمَّع كلمة قُتِل بمعنى لُعِن في القرآن، لقاها في أربع مواضع: "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" في سورة البروج:٤، "قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ" في سورة عبس:١٧، "فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ" في سورة المدثر:١٩، و"قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ" في سورة الذاريات:١٠.

بيقول ليه هنا جت لُعِن بمعنى "قُتِلَ" مع أن لفظ اللعنة مذكور في القرآن؟ فليه ربنا ماقالش لُعِن؟ فاجتهد الشـــيخ حبنكة وقال: لأن غالب الذي يفعل هذه الجرائم لا يُوفَّق لتوبة، فكأنه قُتِل، كأنه اتحرم من التوبة، كأنه قُتِل، فكان طردًا دائمًا. فيه معاصـــي –والعياذ بالله– إصـــرار الإنســـان عليها يُحرَم "فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ –إلى إيه؟– إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ" التوبة:٧٧ –والعياذ بالله–، عقاب شـــديد، يطردهم الله –عز وجل–، فجمَّع الجرائم دي، منها الفجور والكثرة والإصـــرار في تعذيب أهل الإيمان، زي ما بيقول مش مرَّة عابرة، لا؛ ده فجور وكثرة، وزي ما هنشوف ده كان بيتلذذ بذلك!

"الْخَرَّاصُونَ": دايمًا الشاك.

"فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ": الذي اتضحت له الآيات وأعرضَ عنها.

"قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ": الذي يجحد النعم.

وإن كانت كل آية في السورة الخاصة بها تحتاج إلى دراسة.

"قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ" يبقى قُلنا كلمة أصحاب؛ إمّا لكثرة ما فعلوا بالمؤمنين من تعذيب، وأن أعداد أهل الإيمان كانت عظيمة، وعذبوا أعداد كبيرة من أهل الإيمان، أو أنهم أول أصحاب هذه الفكرة.

"الْأُخْدُودِ": الشق اللي في الأرض، حفروا أخاديد في الأرض وأضرموا فيها النيران، وألقوا بأهل الإيمان في النار.

"قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ" البروج:٤-٥، النار دي من الأخدود، وكأن الأخدود أصبح كله نار بدلًا من الأخدود، كأن الأخدود من شدّة النيران اللي فيه كأنّك ماانتاش شايف الحفرة، كأنّ الأرض كلها بقيت نار، شوف من شدّة أهل الباطل، يغتاظوا من أهل الإيمان، غضبان، لذلك ربنا بيقول هنا: "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ" شوف كلمة نقموا ومنها الانتقام، كانوا في شدّة الغضب من أهل الإيمان.

"النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ" احنا دائمًا عندنا قاعدة في القرآن؛ القرآن مُعجز وأي لفظة في القرآن كان يُتَصوَر أو يُتوقع إن هي ماتجيش والمعنى يُفهَم من غيره، وربنا يقولها، أكيد لها معنى مهم، فليه ربنا قال: "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ"؟



أولًا: فيه فارق بين "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ" وبين النار المُوقدة، في سورة الهمزة "نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ" الهمزة٦:٩، فقالوا: "نَارُ اللَّهِ" النار التي يوقدها الله تبقى موقدة دايمًا مش محتاجة وقود، لكن النار اللي يعملها أهل الأرض محتاجة دائمًا وقود.

النقطة الثانية: ليه ربنا قال كلمة "ذَاتِ الْوَقُودِ"؟ كأن أهل الباطل كل ما النار تبدأ تَخْفُت يروحوا يجيبوا وقود ويشعلوها تاني، مش عايزين وسائل تخويف وصرف أهل الإيمان، وفتنة أهل الإيمان، مش عايزين الوسيلة دي تَخْفُت، بمعنى؛ خلاص هم عذبوا أهل الإيمان، بحيث أي حد يفكر إنه يؤمن، يشوف النار فيخاف؛ والنار تأتي أيضًا للفتنة، قال الله –عز وجل–: "كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ" المائدة:٦٤، فكلمة "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ" إن أهل الباطل دايمًا عايزين الدنيا والعة، عايزين فيه فتن للمؤمنين، نار الشهوات كل شوية لازم يجيب لها وقود، لازم كل شوية يخرج بفكرة جديدة تفتن الشباب، لما يلاقي مثلًا فتنة معينة قدرتها على إغراء الشباب، أو فتنة الناس بدأت تَخْفُت، معدتش فيه ناس كتر بتتابع مثلًا حاجة معينة بتضل الناس، بدأت تخفُت، يقوم هو يضيف وقود جديد، يلاقي مثلًا فكرة ستار أكاديمي ماعادتش فتنة برَّاقة، يُضيف لها حاجة جديدة ويخليها مُوقدة أعلى، يزود لها وقود ويدخلها تاني، يخرج بفتنة جديدة، يفتن المؤمنين يفرقهم عن بعض، يجيب وسائل تعذيب أشد، يجيب حاجات تخوف أكتر، يجيب أفكار تخوف الإنسان إنه يؤمن على طول، دايمًا أهل الباطل عايزين نار الفتنة تبقى على طول إيه؟ "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ".

لذلك المعنى الأساسي: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" أي إن الذين يبذلون قُصارى جُهدهم لإضلال المؤمنين والمؤمنات، دول الغرض الأساسي من السورة، وأنّ الله –عز وجل– يُقيّض رجالًا لمواجهة هؤلاء، دائمًا وأبدًا، لازم فيه رجال "لا تزال طائفة من أمتي" وَعْد من النبي –صلى الله عليه وسلم– "طائفة قائمة على الحق لا يَضُرُّهم مَن خَذَلَهُم ولا مَن خَالفهم"[1] فيقول الله –عز وجل–: "النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ"، إشراف؛ بيشرف بنفسه على النار عشان ماتتطفاش، "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ" يعني أهل الباطل بينزلوا بأنفسهم يُشرفوا على وسائل الفتنة، مش يخلي أي حد صغير يعمل، لا!

أنت لما تيجي تشوف الجُهد والمال اللي بيصرف من أهل الباطل لإضلال المؤمنين..أنت تتعجب! ممكن مثلًا ممثلين كبار، خلاص أوغلوا في العمر، ولازم يعمل برنامج بنفسه، وينزل بنفسه يعمل حاجة عشان تفتن الناس، وعايز يعلّم شباب صغير يفسد؛ "أرسل إلي غلامًا أعلمه إني قد كبرت؛ أرسل إلي غلامًا أعلمه السحر"، عايزين النار دايمًا تفضل مستمرة، فيقول الله –عز وجل–: "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ"، أيضًا من معناها في الآية معانا هنا؛ إن رؤساء أهل الباطل لما أمروا بحفر الأخاديد عشان يلقوا فيها المؤمنين، نزل بنفسه يقعد يشوف، يعني ماكتفاش إنه أمر الجنود، والجنود هم ينزلوا يعذبوا المؤمنين، لا! قال أنزل بنفسي أتأكد، شوف الغل والحقد والتشفي.

وأيضًا إشارة إن اللي حصل ده ماحصلش غصبًا عن المجرمين الكبار، وإن الجنود اتصرفت من نفسهم، عشان لما ييجي يوم القيامة المجرم الكبير يقول: أنا ماليش دعوة، هم اللي عملوا كده الصغيرين، أنا ماقولتلهومش يعملوا! لا، أنت كنت مُشرف على ده بنفسك، كنت قاعد وشايف اللي بيحصل، كنت متابع وعارف.

فيقول الله –عز وجل–: "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ"، لذلك قال الله –عز وجل–: "وَهُمْ" هم اللي كانوا قاعدين "عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ" شَهدوا تعذيب المؤمنين بأنفسهم، ماتقولش ماتعرفش، لا، أنت عارف، عارف إيه اللي بيحصل، وعارف إيه اللي بيتم، ماتقولش ماعرفش ، مفيش حد هينجو، لذلك دايمًا المجرمين الكبار والصغار يتخانقوا مع بعض في النار، واتكلمنا في سورة سبأ، والموضوع ذُكِر في أكتر من سورة، دائمًا يتخانقوا؛ يقول له: أنت اللي قولتلي، يقول له: ماانت اللي عملت، يقول له: ماانت اللي أمرتني، ويتخانقوا مع بعض في جهنم –والعياذُ بالله–.

---

[1] روايات الحديث هنـا



"إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ" تجد إن رؤساء أهل الباطل يُشرفون بأنفسهم على نار الفتنة، لازم أن ينزل بنفسه، مايكتفيش إن الصغيرين اللي يعملوا الموضوع. المفروض إن أهل الحق هم أولى بكده، إن هم اللي يحرصوا على نشر الحق وينزل يتابع ويشتغل.
فلذلك هنا يقول الله –عز وجل–: "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا" على النار كأنه قاعد عليها، من شدّة الإشراف ومن شدّة المتابعة كأنّه قاعد على النار، "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا" وبعدين كلمة "قُعُودٌ" فيه معنى التمكُّن، لما الشيطان قال: أنا فاضي لهم، قال: "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ" الأعراف:١٦، يعني الشيطان بيقول لربنا: أنا ماوريش حاجة غير إن أنا أضِل الناس، فبيقول له إيه؟ "لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ"، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– "إنّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرُقه"[٢]، ولما النبي –صلى الله عليه وسلم– كان بيوزع المؤمنين في الثغور، ومن شدّة تَمَسُّك كل واحد بثغره، يقول الله –عز وجل–: "وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ" آل عمران:١٢١، كأن كل واحد بيقف على ثغر مابيسيبوش لغاية لما يموت. "تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ –إيه؟– مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ"، فلفظ القعود فيه معنى التمكُّن من الشيء وطول المُكث. فهنا "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ" قعدوا فترة طويلة يشرفوا على بناء هذه النار وإتقانها، ويُجدد هذه الوسائل التي تفتن أهل الإيمان "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ".

"وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"، بعد ما بنوها وظبطوها وأشرفوا على بنائها وعلى إتمامها، يبدأ يشوف بنفسه، شوف من أول الخطوات؛ هو صاحب الفكرة "قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ"، هو صاحب الفكرة وطول الملازمة، ثم يأتي بالوقود حتى لا تنطفئ النار، ثم يشرف على إتمام العملية، ثم يشهد عملية تعذيب المؤمنين، يعني لما تيجي تشوف الأربع مراحل من أول بدأها وإتمامها وكمالها ثم يشهد بنفسه، شوف جهد أهل الباطل، كل ده! احنا قلنا القرآن مبني على الإيجاز، أربع آيات تفصيل، مع إن خلاص كان ممكن ربنا يقول: جابوا المؤمنين ورموهم في النار وخلصت في آية واحدة، ولكن احنا بنقول من المقاصد الأساسية في السورة؛ جهد أهل الباطل لفتنة أهل الإيمان.
يعني اوعى تعتقد أنهم هيحاولوا يضحكوا بس ويتريقوا شوية على المؤمنين وخلاص، لأ، يعني زي ما في سورة المطففين: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ" المطففين:٢٩، لأ، ده إحدى الوسائل للفتنة، لكن لو ثبت أهل الإيمان هم بيفضلوا يزودوا في وسائل الصرف ووسائل الفتنة "إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ –بأنفسهم– عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"، يشهد بنفسه وكأنه –والعياذ بالله– يتلذذ بلحظة تعذيب أهل الإيمان، يعني شوف شدة الغضب! "وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ"

"وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ" أنت لما تيجي تقرأ الآيات تستغرب، أخاديد ونار ذات وقود، وقاعد بنفسه، وقاعد بيتفرج وييجي يشهد، انت بتستغرب، ليه كل ده؟! إيه كمية الغضب والحقد اللي موجودة جواه، ليه؟! فيقول الله –عز وجل–: "وَمَا نَقَمُوا" النقمة هي شدة الغضب، "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ –ليه– إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"، هو متضايق أوي إن دول مؤمنين! طب انت متضايق ليه؟! لإن شوف هنا التعبير القرآني "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" أكثر صفتين بتضايق أهل الباطل هما الصفتين دول، لأن رؤساء الباطل يحب هو أن يكون عزيزًا ويحب هو أن يُحمد، ينازع الله في صفاته –سبحانه وتعالى–، عايز يبقى هو اللي له العزة مش للوحي، لأن الوحي بيقول له لأ، أنت فرد من الأفراد تُحاسب، زي ما الرعية تُحاسب انت كمان تُحاسب، ولو أخطأت تُعزَل، لو لم تطبق العقد اللي بينك وبين المؤمنين –اللي هو إقامة الدين والدنيا بشرع الله –عز وجل– تُنَحّى، يبقى انت هتحاسب وتحاكم زيك زيهم، يقولك لأ، مش عايز الكلام ده، هو عايز يكون ليه العزة، عايز دايمًا يُحمد على أفعاله، الملوك تحب أن تُحمد على أفعالها، هذه الصفات لا تكون مطلقة إلا للملك –سبحانه وتعالى–.

---
[٢] صححه الألباني



"وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" بمعنى أيضًا أن إيمان هؤلاء كان إيمانًا كاملًا ناضجًا، يفهمون معنى العزيز الحميد، لأنه لو كان إيمان لا يفهم معنى العزيز الحميد ماكانش اعترض مع الطغاة. بمعنى: لما السحرة آمنوا -عشان نوضح الفكرة- فقال فرعون: "آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ" الأعراف:١٢٣، فرعون عايز يخلي كل حاجة مبنية على الإذن، تيجي تمضي؛ الإذن. فيقولوا له احنا عايزين نؤمن، يقول لهم ورويني كده إيمانكم ده، لأ، شيل دي وشيل دي وبلاش موضوع الحكم ده وبلاش قضية الجهاد والولاء والبراء، شيل الحاجات دي، خلاص ماشي أنا موافق على الإيمان ده، ده إيمان مأذون فيه. الإيمان الكامل لا يكون هكذا، الإيمان الكامل يُنازع هؤلاء في سلطانهم فيخافون منه فيرفضونه! فلذلك هنا ربنا بيقول: "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ".

الغلام؛ ملخص الكلام اللي قاله ثلاث كلمات: (الله يهديني، الله يشفيني، الله يحميني... ربي)، لذلك الملك لما جاب الغلام بيقول له إيه؟: (قدْ بلَغَ مِنْ سحرِكَ أنك تشفي الناس)، عايز يخلي اللي بيعمله تبع السحر اللي هو تبعي، يبقى اللي بتعمله ده تبعي أنا، قال: (إِنِّي لا أشْفِي أحدًا، إنَّما يشفِي اللهُ)، مُصِرّ، الغلام يفهم القضية، اتعلم التوحيد من الراهب، هذا التوحيد الكامل تكرهه الملوك والظلمة، يكرهونه لأنهم فاهمين أنه بينازعهم، فكان إيمان هؤلاء يفقهون هذه المعاني، فهم الراهب هذه المعاني وعلمها للغلام وعلمها الغلام للرعية، وانتشر هذا الإيمان "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ".

من معاني العزيز أي الواحد، ازاي يبقى من معاني العزيز أنه الواحد؟ لأنه لا يُغالَب، فلا يبقى إلا هو -سبحانه وتعالى-، فمن نازعه في ملكه عذبه، "العِزُّ إِزارِي والكِبْرِياءُ رِدائِي فمَن نازَعنِي شيئًا مِنهُما عذَّبتُه"[3].

"وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ"، وقيل العزيز الحميد الذي يُعزُّ أولياءه حتى لو قُتِلوا في الدنيا لهم العزة، لأن العزة أنك لا تُبدِل ولا تُغير حتى لو قُتِلت، دي العزة الحقيقية، إنك تفضل ثابت على مبادئك إلى أن تموت، هي دي العزة.

"الْحَمِيدِ" قيل من معاني الحميد الذي يَحمَدُ لأوليائه أعمالهم أي يشكرهم.

يبقى "الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ" إما صفات للملك -سبحانه وتعالى- أنه هو العزيز وهو الحميد، اسم مفعول يُحمد -سبحانه وتعالى-.

أو هو الذي يُعزّ أولياءهُ، والحميد يَحمد لأوليائه، يعني اللي بذلوه الجهد اللي عملوه ده مش هيضيع عند ربنا.

فالحميد بمعنى يحمد لأوليائه، يعني اوعى تفتكر إن إي حاجة عملتها لدين ربنا هتضيع عند ربنا، مش هتضيع، ولا قطرة دم، بل ولا قطرة عرق، ولا أي حاجة هتضيع عند ربنا، ولا درهم تنفقه في سبيل الله، ولا خطوة، بل ولا التراب اللي يُغَبّر القدم مايضيعش، شوف المعاملة مع ربنا عاملة إزاي!! تغبير القدم إنك بس رجليك ييجي عليها تراب، تغبير القدم في سبيل الله ما يضيعش عند ربنا، حتى رائحة الصيام ماتضيعش عند ربنا "لَخَلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِن رِيحِ المِسْكِ"[4]. شوف الإله بيعاملك إزاي -سبحانه وتعالى-!! فيحمد لأوليائه أفعالهم.

"الَّذِي لَهُ مُلْكُ"، وكان فيه ملك ظالم، هؤلاء المؤمنين آمنوا بالملك الحقيقي ولم يغتروا بالمُلك الظاهري، فيقول الله -عز وجل-: "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ -وحده- مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ"، كان شهيدًا -سبحانه وتعالى- على ما فُعِلَ بهم، شهد -سبحانه وتعالى-.

[3] صحيح الترغيب

[4] صحيح مسلم



يقول الله -عز وجل-: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ"، يبقى إذًا جهد أهل الباطل الرهيب لصرف أهل الايمان عن الحق جهد مستمر ولن يتوقف، الصراع دائم مستمر بين أهل الحق وبين أهل الباطل، وأهل الباطل هيبذلوا قصارى ما يملكون لصرف الناس عن الدين، فلذلك يقول الله -عز وجل-: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" سواء فتنوا؛ عذبوا أو استعملوا وسائل الفتنة لصرف أهل الإيمان.

"إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" نزول القرآن في هذه اللحظات يُبصِّر الإنسان؛ مشهد حرق أهل الباطل لأهل الإيمان، مشهد صعب جدًا على النفس، يعني لو انت شاهدت المشهد ده انت دايمًا هتفضل متوقع وهم بيحفروا الأخاديد فيه صاعقة هتنزل، حفروا الأخاديد ومفيش صاعقة نزلت! وهم بيولعوا النار فيه صاعقة هتنزل تاخذهم، ولعوا النار ومفيش صاعقة نزلت، وهم بيربطوا أهل الإيمان الصاعقة هتنزل تموتهم، ماماتوش! قبل ما يرموهم هتيجي صاعقة تموتهم؟ طيب لما يرموهم مش هيموتوا، تُفاجأ أنهم ماتوا! يعني هي كده القصة خلصت؟! دايمًا اللي آخره في التفكير هذه الحياة الدنيا دايمًا هيسيء الظن، فكره قاصر، أوقات البلاء الصعبة زي دي محتاجة بصيرة، لأن أوقات البلاء بتهز الإنسان، دايمًا أشد لحظات بتغير في نفسية الإنسان لحظات البلاء، لو الإنسان معندوش إيمان وفِقْه لا يثبت.

المرأة التي مات لها طفل وبكت عليه بكاء شديدًا، ومر النبي -صلى الله عليه وسلم- عليها وهي تبكي وقال: اتقي الله واصبري. قالت له إيه؟ للنبي -صلى الله عليه وسلم-؟! قالت: إليك عني إنك لم تُصَب بمصيبتي. بتقول له أنت بتقول كده وخلاص، ما هو لو انت عندك اللي عندي ماكنتش قلت كده، بتقول الكلام ده لمين؟! للنبي -صلى الله عليه وسلم-. نسأل الله السلامة والعافية.

لذلك من الدعاء: وأسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا. المصائب عايزة إيه؟ عايزة يقين، أسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، المصائب لو معهاش يقين تضيع.

تيجي السور اللي زي دي تُبَصِّر أهل الإيمان، لذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الرواية المشهورة: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، يُبتلى المرء على قدر دينه[٥].

وفيه رواية: "أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم العلماء" العالِم عنده بصيرة وفقْه، يتحمل البلاء لأنه فاهم، من أهل العلم يفقه البلاء.

تيجي السور اللي زي دي تُصبّر تدي زاد إيماني، إن كل حصلت متسجلة ومشهود عليها وفيه شهود، وأن هذه ليست هي النهاية، هناك بقية، تكملة، بل هي التكملة الأطول، وهذا هو الفصل القصير في القصة.

الفصل الأطول لم يأتِ بعد "إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ" إبراهيم:٤٢، هذه المعاني يحتاجها أهل الإيمان حتى يستطيعوا أن يصبروا. ده الزاد اللي يُصبّر، لو اختفى هذا الزاد، يقل اليقين، تنزل المصائب، تفتك بالإيمان. لازم يبقى عندك زاد تتحمل به وتواجه به، حتى إذا نزلت المصيبة يكون عندك من اليقين ما يجعلها عندك هينة.. (من اليقين ما تُهَوّن) تخليها بدل ما هي مصيبة ضخمة تخليها بالنسبة لك هينة، تعلم حقيقة الأمور.

فيقول الله -عز وجل-: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ" شوف كان ممكن يقول المؤمنين، ودايمًا لفظ المؤمنين لما بيذكر بيدخل في ضمنه المؤمنات، ليه يقول المؤمنات؟ كأنهم مش عايزين يسيبوا حد إلا ويفتنوه، مش عايزين يسيبوا حد. وده بنشوفه يعمل برامج للأطفال، وللصغار، وللشباب، وللنساء، وللفتيات، وللكبار، لكل مراحل العمر، وللرجال وللنساء، عايز كل الناس يُفتنوا. يعني لما ييجي يعمل برنامج مش يعمل برنامج واحد وخلاص يفتن الناس، لأ، عايز يتفنن في إضلال الناس، مثلًا موضات تفتن الناس، يجيب للسن ده وللسن ده، عايز أشياء تفتن الناس، كأن جهد أهل الباطل يسعى إلى فتنة الجميع "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ"

---

[٥] روايات الحديث هنا



"ثُمَّ" أضافوا جريمة أخرى "ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا" بمعنى أنه ماكانش خطأ عابر، زي ماقولنا الموضوع في السورة، لأ، ده إصرار وعناد، ده كره للحق! ده زعلان إن واحد بيقول: لا إله إلا الله، يغضب، "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا" الإسراء:٤٦، شوف البغض، وأيضًا "وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ" الزمر:٤٥.

المشكلة لديهم في كلمة: "وَحْدَهُ"، "وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ" هو مشكلته في كلمة إيه؟ إنك تقول له التوحيد، الله يحكم، الله هو الرزاق، هو؛ وحده.

دي عنده مشكلة، يعني إنك تقول له: "الله إله" ممكن يتقبلها ويحاول يشوف حل وسط، إنما انك تقول له: "لا إله إلا الله" –عشان كده كلمة التوحيد مش الله إله– ما المشركين في مكة كانوا عارفين إن الله إله، لكن هو رافض إيه؟ رافض لا إله إلا الله.

لذلك لما كانوا بيلبوا كانوا يقولوا في التلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، كانوا يقولوا إيه: إلا شريكًا هو لك. مش قادر يوحد، لأ، هنضيف شريك. بيقولوا في آخر التلبية المشركة (إلا شريكًا هو لك) ما يتحملش التوحيد، فكان عنده كره وبغض، فطبعًا لم يتب.

"إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ" "فَلَهُمْ" دي مخصوص، تخصيص، ربنا هيخصص لهم عذاب مخصوص زي ماتعبوا هم أهل الباطل وخصصوا جهد لصرف الناس عن الإيمان، هيُخصص ليهم عذاب في جهنم "فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ"، ولهم إضافة على عذاب جهنم اللي لكل المشركين، لهم عذاب مخصوص اسمه عذاب الحريق. الجزاء من جنس العمل. زي ما حرقوا أهل الإيمان في الدنيا، وأضرموا النيران في الأخاديد، وألقوا أهل الإيمان؛ لهم عذاب مخصوص.

كل واحد يساهم في فتنة الناس عن الدين بيبقى له عذاب مخصوص في جهنم! بل مش بس كده، ده اللي بيأمر الناس بالدين ولا يفعله هو، وده ممكن يبقى من أسباب صرف الناس عن الدين، إنه بس يأمر الناس بالدين لكن أفعاله مخالفة لأقواله، يمشي في جهنم –والعياذ بالله– فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ: أمعاؤه وهو قاعد بيجرها في جهنم، شوف العذاب؛ الخزي. قاعد بيجر أمعاءه بره في جهنم فيتعجب أهل النار: يا فلان ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟! "قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"[6] –والعياذ بالله–. عذاب مخصوص؛ المتكبرون لهم عذاب مخصوص؛ يُحشر المتكبرون كأمثال الذر –زي النمل– تَطؤهم الناسُ بأقدامهم.

فدول لهم عذاب مخصوص "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ" النحل:٨٨، لذلك ده عذاب مخصوص ليهم؛ عذاب الحريق في جهنم.

وقيل: أنهم بيقعدوا يتنقلوا في جهنم ما بين الزمهرير والحريق، الزمهرير والحريق، يعني عذاب بارد جدًا، ثم ينتقل إلى عذاب حار جدًا، وبعدين ينتقل إلى عذاب بارد جدًا! هذا التنقل شديد الألم، فيعاقَبوا بهذا العذاب "فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ".

ثم يقول الله –عز وجل– بصيغة التأكيد زي ما جت التي قبلها بصيغة التأكيد "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا" كأن ربنا بيقول لنا: أكيد فيه ناس هتحاول تفتنكم. اوعى تعتقد إن انت كمؤمن قاعد في مسجد كده محدش بيحاول يفتنك، أنت واهم! كمية المحاولات والفلوس اللي بتتصرف عليك.. كمية الفلوس اللي عشان انت تضل؛ أنت مش متخيل! أحيانًا الواحد بيتعجب!

مواقع على الإنترنت وحاجات تضل الشباب، مصروف عليها وتلاقيها مجانًا، إزاي؟! إزاي الحاجات دي بتتعمل مجانًا كده؟! هو بيصرف عشان يضل الناس، ويتلذذ بذلك، زي ما أكيد إن فيه ناس بتحاول تفتنك، أكيد فيه ناس هتصبر.

---

[6] صحيح البخاري



"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" سياق يدينا معنى جميل أوي: أي آمنوا وثبتوا وقت الفتنة، "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا" أي وقت الفتنة؛ دول قليل، فيؤكد الله –عز وجل– لنا أن هناك من يثبت في الفتنة كالبروج، ومش بس آمن، ده كمان آمن وإيه؟ "وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ" يعني في زمن الفتنة بيشتغل! يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، يدعو، ثابت، يقول الحق. فيه ناس ثابتة، هؤلاء لا يضيعهم الله أبدًا.

ده من المعاني الجميلة التي قيلت في قول الله –عز وجل–: "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ" البقرة:١٤٣، قيل: ما كان الله ليضيع إيمانكم يوم أن ارتد كثير من الناس، يعني إيه؟ لما القبلة اتحولت: فيه ناس كتير اتفتنت، قالت إزاي؟ هو احنا كنا غلط؟! لما في الفتنة دي ثبت ناس؛ فربنا يقول لهم: الناس اللي ثبتت في الوقت ده؛ لن يُضيع الله إيمانها أبدًا! يحفظه لهم، لن يضيع الله –عز وجل– إيمانها أبدًا! يكون لهم زاد. الثبات وقت الفتنة زاد عظيم للمؤمن.

"إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" عكس بقى الأخاديد التي كانت فيها نار واترموا فيها، لأ، ده جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك الفوز، انظر لفظ "الْفَوْزُ" ده بيجي في المسابقات أو المعارك. فكلمة الفوز كأن المعنى مين اللي انتصر؟ اللي انتصر اللي ثبت، أهل الإيمان، بالرغم من أنهم هم اللي اتحرقوا، وهم اللي اترموا في الأخاديد، وظاهر الأمر أن الملك هو اللي انتصر، لكن لا! يقول الله –عز وجل–: اللي ثبت على الإيمان هو الذي فاز.

قال حرام بن ملحان –لما طُعن–؛ مات، وبيقول: فزت، نفس اللفظ، قال: فزت ورب الكعبة، فالفوز الحقيقي أنك تثبت ولا تُبدل ولا تُغير، ولذلك المرة الوحيدة تقريبًا اللي جت في القرآن "ذَلِكَ الْفَوْزُ" ماقالش العظيم، قال "الْكَبِيرُ"! "ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ" حققوا إنجاز عظيم جدًا، أنهم ثبتوا وقت الفتنة.

ثم يقول الله –عز وجل– يؤكد أيضًا لنا: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ" مفيش مقارنة أبدًا، بل اللي هيقارن أو هيُساوي بين عذاب الله وعذاب الناس، ده بيُفتن "فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ" العنكبوت:١٠، اللي هيحس أنهما زي بعض، ده هيفتن؛ "تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" لما الضعفاء نظروا للكبراء على أن عذابهم زي عذاب ربنا، ما دول الضعفاء بيقولوا للكبراء انتوا ضيعتونا، "تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ" الشعراء٩٧:١٠١.

فهنا ربنا بيقول لك: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ"، اوعى تساوي بين اللي هيعمله أهل الباطل في المؤمنين وبين اللي هيعمله ربنا فيهم، مفيش أي مقارنة أبدًا! "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ" ربك الذي سينتقم لك، ينتقم للمؤمنين، إن الله يدافع ويدفع عن الذين آمنوا.

"إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ –ربنا سبحانه وتعالى– يُبْدِئُ وَيُعِيدُ"، يعني إيه يُبْدِئُ وَيُعِيدُ؟

– قيل يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ليها أكتر من معنى هنقول معنيين وعلاقتهم بالسورة:

يُبْدِئُ وَيُعِيدُ قيل بعد الموت يبدأ البعث، يعني يَخلق ثم يُميت ثم يبعث، طيب إيه علاقة الخلق والبعث بسياق السورة؟ كأن معنى الآية إن إذا كان دول بيعذبوا الناس في الدنيا، فالدنيا مدة قصيرة وتنتهي، لكن الله –عز وجل– يعذبهم في الآخرة في زمن لا ينتهي، وده من الفوارق بين عذاب الله للكفار وبين تعذيب الكفار للمؤمنين، "إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ" أي يبعثهم ويعذبهم عذابًا طويلًا خالدين فيها –في جهنم والعياذ بالله– الكفار.





وقيل يُبْدِئُ وَيُعِيدُ: غير الفارق ما بين عذاب الكفار للمؤمنين وبين عذاب ربنا –سبحانه وتعالى– للكفار، إن الكافر لما بيعذب المؤمن إنه بيعذبه على قد الدنيا وخلاص، لكن في جهنم يُبْدِئُ وَيُعِيدُ

– قيل: يبدأ عليهم عذابًا ثم يعيده عليهم إلى صورة لا تنتهي، يُبْدِئُ وَيُعِيدُ يبدئ عذاب ويعيد آخر، ويظل الأمر لا ينتهي.

زي قول الله –عز وجل–: "لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا" النبأ:٢٣، قيل الحقبة فترة من الزمن، فقالوا طيب لما هي الحقبة فترة من الزمن هو الكفار لما يقعدوا في جهنم فترة معينة وخلاص؟ قالك لأ، خالدين. قالوا طب ليه الأحقاب؟ قالوا: ده عذاب نفسي، أي يتقال لهم مثلًا: هتلبثوا ثمانين سنة، تخلص الثمانين سنة، يُنادى عليهم: كمان ثمانين سنة، تخلص الثمانين سنة، كمان ثمانين سنة. وقيل كل حقبة بنوع من أنواع العذاب –والعياذ بالله–. إنه هو وحده –سبحانه وتعالى– "يُبْدِئُ وَيُعِيدُ".

وبعد كل ده يقول: "وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ" الله أكبر! يعني فيه أمل للتوبة، حتى الكافر الذي عذب أهل الإيمان، باب التوبة بالنسبة له مفتوح؟! آه مفتوح! "وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ" سبحان الله! يعني هذا فعله مع أعدائه، فكيف بفعله مع أوليائه!

زي ما بيؤثر عن بعض الناس بيقول: يارب أنت بعثت موسى وهارون إلى فرعون وقلت: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا * لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" طه:٤٤، يعني شوف ربنا عمل مع فرعون الطاغية؛ هذا فعلك مع من قال: أنا ربكم الأعلى، فكيف بمن يقول: سبحان ربي الأعلى!

"وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ" –سبحانه وتعالى– يفتح باب التوبة لا يغلقه –سبحانه وتعالى–، الباب مفتوح دايمًا حتى مع أشد الجرائم بتأتي في القرآن الباب يكون مفتوح!

"وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ" –سبحانه وتعالى–، هو "ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ"، احنا قلنا في السورة؛ ملك ظالم معاه جنود، استخدم هؤلاء الجنود في تعذيب أهل الإيمان ليحافظ على ملكه، فربنا بيقول العرش الباقي، الملك الباقي، المجد؛ الاستمرار والعلو لا يكون إلا لله ولا يكون إلا لمن كان عبدًا لله "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" المنافقون:٨، من انتسب للإيمان يناله قسط من العزة على قدر ارتباطه بالإيمان.

"ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ" يعني المجد الحقيقي في طاعة الله!

"ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ" احنا قلنا المصائب أحيانًا تصيب الإنسان بالشلل الفكري، مش فاهم إزاي ده حصل، ويقعد يتحسر مش فاهم، من المعاني التي لا بد أن تستقر في قلبك أن مهما رأيت من ظلم، مهما رأيت من أحداث، من ابتلاءات، اعلم أن شيئًا لن يحدث بعيدًا عن الله! إنه "فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ"، "ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ" محمد:٤.

"فَعَّالٌ" بصيغة المبالغة، يفعل ما يريد في الكون –سبحانه وتعالى–. الله –عز وجل– ترك الظَلَمَة وترك حتى إبليس من قبلهم، ده ابتلاء لأهل الإيمان "فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ" الأعراف:١٢٩، لما قال: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" البقرة:٣٠، فيه ناس هتسفك الدماء، هتسيبهم يا رب يسفكوا الدماء "وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" البقرة:٣٠؛ أي أعلم أن هناك أناسًا آخرين يقفون في وجههم، ويبذلون أموالهم ودماءهم لنصرة الدين، فهو "فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ". يعني مش معنى إن فيه ظالم تُرِك أنه خرج عن قدرة الله.. أبدًا! لا تحسب أن الكفرة معجزين، أبدًا! لا في السماوات ولا في الأرض! فيقول –عز وجل–: "فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ".

إذًا الإنسان يحتاج أن يجدد إيمانه في هذه الأشياء في وقت البلاء، بمعنى آخر: في وقت البلاء ممكن الإنسان يبقى عنده سوء ظن، هو ربنا سايبهم كده إزاي؟ هو ده بيحصل؟ والعياذ بالله بييجي الشيطان يقول له: طيب وفين ربنا؟

لذلك غالب الناس اللي عندها صدمات في إيمانها، وممكن –والعياذ بالله– يُلحد، وخاصة بالنسبة للعرب؛ لأن للأسف العرب كمان مابيقرأوش، فغالب إلحادهم مش إلحاد مبني على نظريات علمية، لأ، ده إلحاد نفسي، وغالب الإلحاد العربي النفسي مبني على جزئين: مبني



على شهوات أو شبهات في القَدَر؛ يحصل له أزمة قدَرية معينة، فيقول لك مفيش ربنا، لأنه لو كان ربنا ماكانش ده حصل! هذا في ظنه –والعياذ بالله– تعالى الله عما يقولون. فدي من الشبهات، قضية القدَر مسألة عظيمة، وعدم الإيمان بالقدر وأن الله "فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ" بتخلي الإنسان دايمًا عنده حسرة، "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ" آل عمران:١٥٦، دايمًا اللي بيقعد يقول: لو.. لو..كل لما يزود كل ما الحسرة تزيد، "لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا"، لكن الله –عز وجل– "فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ"، مهما بدت السورة بخلاف ذلك، لكن الله –عز وجل– "فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ".

هذه الأوقات تُخْرِج ألوان من العبوديات لم تكن لتخرج بدون هذا البلاء. يعني من الحكم إن هذه الابتلاءات تُخرج ألوان من العبوديات تجعل أن الله –عز وجل– يباهي بهؤلاء المستضعفين، يباهي بهم الملائكة، الناس المستضعفة وزعلانة وقُتِلَت وألقيت في النار، هؤلاء يباهي الله بهم الملائكة! ألوان من العبوديات تَخرج في ظل هذه الابتلاءات "فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ".

ثم يقول الله –عز وجل– في ختام السورة: "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ"، خلاص القصة خلصت، الملك الظالم والأخدود، فربنا بيقول للنبي –صلى الله عليه وسلم– وللمؤمنين: دول مش أول ناس يعملوا كده، كان فيه ناس قبلهم! "هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ" أصبحوا الآن مجرد أحاديث، قصص، شوف كانوا ظلمة وكانوا وعملوا وقتلوا وبعد فترة من الزمان أصبحوا مجرد أحاديث وقصص تُروى. "هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا" مريم:٩٨، هم فين؟! الواحد لما بيقرأ قصص التتار والظلم اللي عملوه في المؤمنين من تعذيب وقتل وتشريد ودماء سالت، أنهار تحولت إلى دماء، ورؤوس العلماء تُقَطَّع، التتار قصص تروى الآن، أفناهم الله –عز وجل–، أين هم؟!

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ" كلمة "الْجُنُودِ" حرب، دايمًا فيه ناس هتحارب الدين، يتجمعون ويأخذون عدتهم ليقاتلوا ويحاربوا أهل الإيمان.. لكن يتحولون في آخر الأمر إلى مجرد أحاديث!

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ"، دايمًا معتقدين أن هم هينتصروا لما يتجمعوا "أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ" القمر:٤٤، فربنا قال لهم: أنتم فرحانين بالجمع ده؟ "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" القمر:٤٥.

"هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ" الاتنين دول تحديدًا من المعاني اللطيفة، ليه فرعون وثمود؟ الاثنين حاولوا يمنعوا ظهور الآيات عن طريق القتل؛ فرعون حاول أن يقتل أهل الإيمان، وقوم ثمود حاولوا أن يقتلوا الآية (الناقة)، دول عقروا الناقة وفرعون قتل أهل الإيمان. الاتنين استعملوا نفس الوسيلة لكن في اتجاه مختلف. ده قال أنا هأقتل أهل الإيمان، وده قال خلاص أنا أجيب الآية اللي هي الناقة واقتلها.

فربنا بيقول لهم: سواء قتلتوا أهل الإيمان، أو حاولتوا تطمسوا الآية، لن تمنعوا الدين من الانتشار!

"بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ" كلمة "مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ": يعني هم شغالين وعمالين يخططوا وعمالين يدبروا، وهم متراقبين من كل ناحية! عارف؛ منظر واحد مستخبي قفل عليه حيطة مثلًا أو ستار؛ وقاعد يخطط، ويفاجأ في آخر الأمر أن الستار ده شفاف، فيفاجأ أن كان كل حاجة مكشوفة! هو ده اللي هيفاجأ بيه أهل الباطل! كل حاجة كانت متراقبة ويُكشف الأمر، "أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ" الزخرف:٨٠، كل حاجة بتتكتب! فيقول الله –عز وجل–: "بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ*وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ".

ثم الختام الجميل.. الختام اللي يسكب الطمأنينة.. "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ"، إيه علاقة الختام بقصة القتل والتعذيب؟

يقول الله -عز وجل- لنا، ويخبر المؤمنين، ويقول لأهل الباطل: مهما قتلتم، ومهما فعلتم، ومهما عذبتم سيظل القرآن محفوظ! بمعنى: اقتلوا من شئتم من أهل الإيمان، فطالما أن القرآن موجود هيخرج مؤمنون جدد!

هتقتلوهم هيخرج مؤمنون جدد! فالحل الوحيد لمنع الإيمان من الانتشار، هو حل واحد بس: القضاء على القرآن؛ وده مستحيل! شوف التعجيز! يعني ربنا بيقول للكفار، لو عايزين تقضوا على الإيمان، مالهاش غير حل واحد: إنك تقضي على القرآن! والقضاء على القرآن مستحيل! هو في لوح محفوظ. "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ": له المجد، هو صفة من صفات الله.

فختام السورة، يُطَمْئن الله أهلَ الإيمان على الدين لا على الأبدان.

نخرج بالجملة دي: يطمئن الله -عز وجل- أهل الإيمان على الدين، على الوحي، لا على الأبدان.

لا يطمئنهم على أبدانهم، أبدانكم قد تفنى.. قد تقتل.. قد تعذب.. لكن القرآن محفوظ!

وكأن أهل الإيمان -شوف الجمال- كأن أهل الإيمان وهم بيموتوا، وهم بيلقوا في النار، كانوا يخافون على ما في صدورهم من الحق، كانوا يخافون على ما في صدورهم من الوحي، فيطمئنهم الله لا تخافوا.

كأن وهو بيموت خايف، لذلك لما كثر الشهداء في المعارك، وأفزع ذلك سيدنا عثمان وعمر بن الخطاب من قبل وغيرهم والصديق.. لما كثر القتل خافوا على إيه؟ مش خافوا على الناس، ماقالوش خلاص مش هنقاتل طالما الناس بتموت بقى، ولكن خافوا على الوحي مش خافوا على الناس، فقالوا: نكتبه. كذلك يفكر أهل الإيمان؛ يخافون على الوحي الذي في الصدور، يخافون على الحق، لا يخافون على الأبدان!

لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لما كان معاه الصديق في الغار "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ -مش لا تخف، لكن قال له- لَا تَحْزَنْ -لأنه مش خايف، هو حزين على الوحي، فقال له: لا تحزن ربنا يحفظ الدين، أي متنا مامتناش ربنا هيحفظ هذا الدين- إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" التوبة:٤٠.

ختام السورة: يطمئن الله أهل الإيمان على الدين، لا يطمئنهم على الأبدان، وكذلك يخاف أهل الإيمان على الوحي، فيطمئننا الله في ختام هذه السورة: "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ" بحفظ من الله -عز وجل-، لن يناله أحد، لن يتبدل، لن يتغير هذا القرآن.

نسأل الله -عز وجل- أن نكون من أهل القرآن العاملين به الذين يجاهدون لنصرته.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.